تحليل المساءلة في الشعر المحلّي مقاربة حجاجية لقصيدة "العالية" الشاعر سلمان بومدين

Analysis of questioning in Al-Mahalli poetry: an argumentative approach to the poem "Al-Aliyah" The poet Salman Boumediene

بلعالم فضيلة[1]
المركز الجامعي الشريف بوشوشة آفلو
belalem.fadhila@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/12/24 القبول 2024/01/06 النشر على الخط 2024/01/15
Received 24/12/2022 Accepted 06/01/2024 Published online 15/01/2024

ملخص:

يحتل الشعر الشعبي مكانة مرموقة في الأوساط الشعبية، ولدى مجموعة من الباحثين، لما له من أهمية في بناء جسور التواصل بين الأجيال ولما له من دور تربوي توجيهي، وتأثير وجداني فالنص محل الدراسة والتحليل مبني على تقنية السؤال الظاهر والمضمر، والسؤال واضح بصيغ متعددة بهدف التنبيه، والتوجيه، والمحاجة.

وسلمان بومدين معروف بحبه وإخلاصه لبلدته –آفلو– فشخصها في صورة "عجوز" يعني كبيرة في السن سماها العالية، وراح يقارن ماضيها البهيج بحاضرها البائس، بسبب تخاذل أبنائها وذلك لبناء نص شعري أساسه المحاجّة و المساءلة، بغية إيصال رسالة توجيهية للشباب المثقف من أجل الاعتناء بالوطن والمحافظة على مكاسبه.

- **الكلمات المفتاحية:** نظرية المساءلة – الحجاج – البلاغة – المثقف – الشعر المحلي.

Abstract:

Popular poetry holds a large place in popular circles and among a group of researchers due to its importance in bridging communication gaps between generations, as well as its educational, guiding, and emotional impact. the text under study and analysis is based on the technique of the apparent and implicit question, and the question is clear in multiple formats in order to alert, guide, and argue.

Salman Boumediene is recognized for his love and dedication to his hometown of Aflou, as he personified it as an "oldster" meaning old, and referred to it as "Al-Aliyah," and he compared its blissful past to its miserable present due to her sons' failure. thus, building a dialogue to build a poem based on arguing and questioning, to deliver a guiding message to educated youth to care for the country and preserve its gains.

Keywords: *questioning theory; argumentation; rhetoric; the intellectual; Al-Mahalli poetry.*

[1]– المؤلف المراسل: بلعالم فضيلة البريد الإلكتروني: **belalem.fadhila@gmail.com**

1. مقدمة:

النص محل النظر و التحليل ينتمي إلى الشعر الشعبي المحلي (لا نقول ملحون) لأنه لم يغن بعد صاحبه : بومدين سلمان من آفلو. هذه المدينة الواقعة في الوسط و تعد بوابة الصحراء وهي منطقة جبلية طالما تغنى بها الشعراء...

من خلال هذا النص الموسوم ب "العالية " نهدف إلى غايتين الأولى: معرفة مقاصد الشاعر، و مرماه ! والثانية : مقاربة النص بآلية المساءلة، والحوار التي تعامل بها الشاعر لمخاطبة فئة المثقفين، الذين كانت آفلو مأواهم، ومعلمهم الأول.

إن البحث في هموم الأمة، والحفر في الماضي من خلال نصوص الملحون المتوارثة، واستخلاص العبر. وبمعنى آخر تحديد مواطن الداء، وتشخيص الدواء شأن هذا النص إذ تتلخص فكرته، و مقصديته في الغيرة على الوطن، ومعاتبة أبنائه، خاصة الفئة المثقفة يقول الشاعر: هناك شباب تربوا في آفلو، ونهلوا منها، وغادروا دون التفات...

إن التأويلية المعاصرة تتقاطع مع بلاغة التلقي في اهتمام كل منهما بالقارئ وقدرته، وبالنص وانفتاحه. الشاعر –في هذا النص– "العالية" يشرك مستمعيه في كتابة النص، وذلك عن طريق المساءلة[2]

إن الصورة الشعرية فالعشر الشعبي لا تخرج عن الإطار الذي رسمته نظيرتها في الشعر العربي الفصيح. غير أن الاختلاف يكمن في لغة التصوير حيث أن الصورة في الشعر الشعبي يعبّر عنها باللغة العامية، معنى هذا أن الشاعر الشعبي يشبه الشاعر الفصيح في جميع مظاهر تكون الصورة الفنية بإبداعية وذلك بتفريغ ما حوته مخيلته من صور شعرية متعددة ومتنوعة. ومن المعلوم أن الصورة الشعرية ذات علاقة وثيقة بالشعر وقد لاحظ ذلك النقاد القدامى والمحدثون وخاضوا في هذه الوشائج وأكدوا على أن:" الصورة الشعرية هي إحدى خصائص الشعر النوعية التي تميزه عن بقية الفنون القولية" [1]

وقد أجمع النقاد القدامى والمحدثون على أن التشبيه من المطالب الأساسية والمباحث الجوهرية التي تقوم عليها العملية الإبداعية، ولعل العلة في الإلحاح على التشبيه وطلبه، وكثرة تنوعه تعود لوضوحه وسهولة بنائه فهو حسب النقاد أقل الأنماط البيانية تعقيدًا و التواءً.

في حين ذهب جابر عصفور في تفسير ظاهرة كثرته، واتساع مجاله إلى بروز أداته فقال :" والتشبيه وحده كان أكثر الأنواع جذبا لانتباههم، وكثرتها إثارة لإعجابهم، وليس ذلك بغريب فالتشبيه أكثر ظهورا وجذبا للانتباه للوهلة الأولى من غيره"[3].

---

[2] المساءلة: نظرية (ميتشيل مايير–michel meyer) المساءلة والبلاغة من علم الأشكلة إستنادا إلى مؤلفه الموسوم ب ضمن عتبة فلسفة اللغة والتداول De la problématologie ، قراءة جديدة في نظام المساءلة الحجاجية بأدوات الأشكلة الفعالة مما يعني اشتغال وظيفة المساءلة على مستوى الملفوظات التي يجري التصريح بها لتحقيق قيمة الاقناع الحجاجية. فجاء هذا البحث موسوما ب

[2] جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974، ص08.

[3] جابر عصفور مرجع سبق ذكره الصفحة 112

(نظرية المساءلة والبلاغة لميشال مايير – مقاربة في الأصول والأسس والتمثلات) على وفق مبحثين : هما : المبحث الأول: الأصول التاريخية ل (نظرية السائلة والبلاغة) وامتداداتها المعرفية – المبحث الثاني : الأسس النظرية ل (نظرية المساءلة والبلاغة) وتمثلاتها العلمية

2. تعريف المساءلة:

يعد التساؤل محفزّا رئيسا في طبيعة الفكر الإنساني، بوصفه حركة الذهن من المعلوم إلى المجهول لا تتم إلا من التساؤل وطرح المزيد من الأسئلة، فالتساؤل والتفكير وجهان لعملة واحدة، وهما الطريق إلى اكتساب المعرفة، والتساؤل يقدح زناد الفكر ويفتح باب النقد التي تتغذى به الحقيقة ومن الصعوبة في البحث العلمي تسخير التساؤل في المباحث الحجاجية من دون النظر في بلاغة الخطاب الذي أنتج الحجاج.[1]

يعرف بيرلمان في "مصنف في الحجاج" انطلاقا من موضوعه الذي هو "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو يزيد في درجة ذلك التسليم"[3]

فقد اشتغل الشاعر سلمان بومدين في هذا النص على مبدأي الحيرة والتنقيب بواسطة السؤال الموجه –للعالية– وهي بؤرة الحوار وهدفه إذ يستهل النص ب:

جيت نسالك ردي جوابي قوليلي يا العالية من هو بيك

عيدي عني واش غير حوالك كنت بصح زايخة قلبي يبغيك

سؤال موجه بغية معرفة الجواب. يقول لها : ماذا أصابك، وما غير أحوالك.

سؤال الدهشة، والإستغراب لما آلت اليه أحوال العالية ويوضح ذلك في البيت الموالي بوصف حالها في السابق مما يدل على تغير الحال. يعد أو يبدو الاستفهام أبلغ حجاجًا من مجرد النفي، إنّما يجيء بالاستفهام فيها ليكون الجواب عنها، فضلا عمّا رأيناه عنه من دور حجاجي مشكلاً لبنة أولى في خطة الإيقاع بالمخاطب ودفعه إلى الاقتناع بما هو أهم وبما هو موضوع الخلاف.

كنت بصح زايخة قلبي يبغيك متنزه في خاطري من جمالك

هذا البيت يفصح عن علاقته بمحبوبته، وسر هذا الحب هو جاذبيتها وجمالها الساحر. مما جعله يندهش لرؤيتها بحال معاكسة، حيث قال : واش غير أحوالك؟

والسؤال المهم والمقصود : من هو بيك = من كان السبب في ما آلت إليه : في حوار مع الشاعر: يقول – قصة هذه القصيدة تتلخص فيما يلي : كنت أتجول في أزقة مدينة آفلو، وجدت عجوزا تبكي مرمية أمام بيت عتيق، تضع يديها على أذنها والدم يسيل كأن أحدا جردها من قرطها ورماها في الشارع، و كأني به الحفيد، أغوته الدنيا، وأعمى بصيرته –تعاطي المخذرات– ففعل فعلته هذه بالمرأة العجوز. ومن هذا اللغز القصصي تبدأ رحلة الشاعر في بث خواطره والتعبير عن آهاته ...

واش لبست كل ثوب يبان عليك ياسر من جابو قصايد[4] عن جالك

أبيض ثوبك من الشتاء كيف يواتيك وأخر فصل الربيع تحفو نوارك

[1] michel meyer de la problématologie philosophie, Science el langoge, Paris le livre de page, 1994, p. 124

[2] Ch. Perleman, L'empire rhétorique : rhétorique et argumentation éd. Librairie philosophique, J.vrin, Paris, : 1977, P 26.

[4] هناك قصيدة ذائعة بين الأوساط للشاعر بومدين، موسومة ب"إلياذة الجزائر" مطلعها: يا فاهم الكلام اسمع لي
مسترفد ماهو كدية *** نعطيك أوصاف جبلي بأنعاتو
وجميع إلي عاليا ما لحقاتو
بالإضافة إلى شعراء أشار اليهم الشاعر هنا : مثل الشاعر المرحوم : بن فطيمة الذي عاش في بلاد الغربة وتغنى بالوطن.

أزرق بحري فالصمايم بان عليك متخالف الألوان زادو جمالك

هذا المقطع يقربنا من معرفة المحبوبة، محور السؤال والجواب وهي آفلو.

ويواصل الشاعر تنقيبه عن سبب همه وغمه، ويسائلها:

رديلي يا الهايفة ربي يهديك ** تبردي ذي الحمى ويطفى مشعالك

يعبر الشاعر عن حمى الحيرة، وعن النار التي تشتعل بداخله لما آلت اليه حال المحبوبة الزايخة بعد غياب رجالها وأبنائها. فيقول:

يهدى (يهدأ) عقلي كي نولي نحاور فيك

همساتك تشفي القلب إللي هالك

فبمجرد التفكير في حالة الهايفة ، وهي المرأة الجميلة، جاء في القاموس "عربي – عربي" : [هـ ي ف] – إمرأة هيفاء : من دق خصرها وضمر بطنها. إذ شبه الشاعر مدينة بالمرأة الهيفاء، التي تشرب جمالها من الفصول الاربع، واكتحلت عيناه بألوانها الزاهية وعاش شبابه بين مروجها، وأشجارها، ووديانها ... ومازال يحاول سماعها ولو همسا مكررا السؤال، معبرا عن الحيرة، و التذمر:

وين ناسك، ومماليك وين حبابك وينهم عز رجالك

قوليلي يا الزايخة واش لي بيك من حبك ناجيتك .. قلت نسالك

تغير حال المدينة إلى الأسوأ، وتطور العالم من حولها، حير الشاعر فوجه إليها السؤال مرة ثانية، لكن هذه المرة بصيغ أخرى سأل عن ناسها الذين كانوا قائمين على أحوالها، ومصالحها وسأل عن شعورها، كما عبر عن سبب هذه الحيرة وأفصح عن غير عاداته عن تباريح الحب (من حبك انا جيت نسالك) فلولا الحب لما اهتم لحالها. ووراء هذا الاهتمام هدف وليس مجرد اقامة الحوار. وفعلا طرق الباب، وانتظر الجواب وهو:

قالتلي عز قلبي غير اخطيك حالي حال الي مضعضع بمهالك

قلتلها لوكان في رايي نجفيك خفت يعود يهدس خيالك

حاولت الأم الحبيبة إبعاده عن خوض الغمار المليء بالحزن والمهالك ببصيص من الأمل: عز قلبي – رغم ما الت اليه بسبب غياب ابنائها الأبرار: ردت الجواب بمحاولة الهروب، والابتعاد. خوفا عليه من ثقل الجواب ... فرد عليها : مارأيك في الجفاء – غير أني أخاف، يراودني خيالك وكلمة (يهدس): معبرة عن سكن حب المدينة في قلب الشاعر وكيانه وفي عقله كذلك... فالشاعر مصر على إقامة هذه العلاقة، وان جرب الجفاء فان خياله مليء بصورة هذه المرأة، وهي لا تفارقه وان حاول فردت مستنكرة:

وعلاش تهجرني ومابيك بلا سبة جفيتني واش جرى لك

ظاهر الكلام في هذين البيتين موجه للشاعر، لكن الحقيقة أن هذا الكلام موجه من الشاعر الى الأبناء العاقين الذين هاجروا المدينة لطلب الحياة. وطلب العلم في الجامعات داخل الوطن وخارجه، لكنه أرى الكلام على لسانها...

قلتلها ناوي نبدل ونخطيك ونعاكس ما كان متحوف قبالك

وهذا بالفعل ماجرى فمجموعة من خيرة أبناء آفلو هاجروا وهم اطارات مرموقة في العلم غادروا خارج آفلو و خارج الوطن يوجه لهم الشاعر اللوم – أما الواقع – هؤلاء المثقفون لهم مكانة مرموقة لدى ذويهم، والمجتمع عامة، غير أن نظرة الشاعر لهم مختلفة عتاب ودعوة للإصلاح. وفي رأي الشاعر ان إثارة هذا الحوار المليء بالأشجان ماهو إلا رسالة و استغاثة للنظر في شؤون هذا المجتمع وتوعيته للحفاظ على جمال ونظارة المدينة، وإعادة إعمارها.

قالتلي لوكان تنعرني نهديك وسام السلام وتشع خبارك

قلتلها بكري الشيعة كانت ليك وأنا جهلي ما يلحق عبارك

تظهر هنا مهمة الشاعر ومبتغاه، إذ تطلب منه الأم كتابة شيء يدافع عنها وعن حقوقها وكلمة تنعر تذكرني بالخير وترجع لي حقي الضائع وهنا يظهر مهمة الشاعر، وهو يدرك تلك المهمة لكنه يخشى التقصير، لجهله بتاريخها العريق وأمجادها التي كانت مع الجيل الأول زمن العزة والكرامة...

قالتلي لوكان تبكيني نبكيك دمعاتي على الخد سالت

قلتلها راها العين عمات عليك ياك الحزن يجيب للقلب مهالك

تمكن الشاعر من ناصية البوح، وتداخلت العواطف فمن الاحساس والحيرة والسؤال استجابت المحبوبة وفتحت الباب لابنها البار تكلفه بمهام الكبار، مهمة الدفاع كجندي، والتزكية بوسام السلام وأخيرا طلبت منه الاستمرار بالقريض :

لوكان تحكيلي نحكيك للتاريخ نقولو مجد جدادك

قلتلها شاتي(أحب) نقول كلام عليك تقراه الاجيال في شمخ جبالك

اعتزاز الشاعر بتاريخه، وفوزه بمن تحكي له هذا التاريخ، فلا كلام غير بطولات الأجداد... يتركه أمانة للأحفاد خوفا من ضياعه ...

قالتلي تحضني بيديك نديرك قنديل ضاوي لزمانك

وهنا تبدأ المصالحة ويفوز الشاعر بالرضى والحضن الدافئ الذي يسمو به إلى اوج مراتب العظمة والشهرة (قنديل ضاوي لزمانك) فهو حامل مشعل التنوير وامانة الاجداد.

قلتلها جهدي قليل قليل عليك واللي عظمه ضعيف لا باه يعارك

يستسلم الشاعر للحب، ويعترف بالضعف امام المحبوبة والاستعداد للتفاني في خدمتها...

وبعد طول الصبر والتقلب مع عبارات السؤال و حرارة المشاعر يأتي الجواب :

قالتلي هاهو جوابي مني ليك اسمعلي نحدثك واحذر بالك

قالتلي اسمعلي ضرك نعرف نفسي ليك ذا الجواب يشفي علالك

أنا أم اللي ضحى فالنصر شريك أنا أم أبطال راحو قدامك

انا ام الشريف بوشوشة[5] نريك وانا هي افلو راعي بالك

[5] قائد المقاومة فالصراء الجزائرية هو محمد ابن التومي اين براهيم تعلم اللغة العربية وحفظ القران. ولد من منطقة الغيشة بالقرب من افلو، اختلف في تاريخ ميلاده بين سنة 1976/1883 وبين 1826 أو 1827. صمد في وجه التوسع الفرنسي في الصحراء لمدة 10 سنوات وقد تشرف مركزنا الجامعي بحمل اسم هذا البطل المغوار.

تعرف الزايخة بنفسها، بعد أن أعاد إليها الشاعر روح الطمأنينة والأمان، وشعرت بكينونتها بعد يأس. وتذكرت مجدها التليد وعز أبنائها الأبطال – وتخص بالذكر بطل المقاومة الشعبية الشريف بوشوشة – كلمة نريك تحمل دلالة قوية على عظمة هذا البطل و انا هي آفلو راعي بالك. الآن فتح الباب على مصرعيه، وفكت كل العقد، فقد فاز الشاعر بالجواب، ويكلف بالبحث من جديد عن كنة سؤاله وحيرته، لينشرها بين الأجيال وتتلوها على سفوح الجبال.

سول عني ذا البرور ولي تحراش وسول عني كل شجرة بسماها
وسول عني ذا العيون لي تهشاش وسول عني كل نسمة بهواها
ها سول اذا نتا ماتعياش قداه من خصلة مشات نسيناها
سال ذي الابراج كان نتا فتاش سول ذاك الجنان والعين بحذاها
سال وسول شاهد القرن قداش من حكمة للجيل لازم يقراها
سال الحد[6] اذا نتا ماتقراش ذاك اليوم الشوايع خلاها
اللي تتلاقا فيه الاعراش ناس الهمة للجواب شناها
لو تعد خصالهم كسابين الخيل والعيش نزاها
بياعين وشرايين للنعجة وفراش بيهم جات ساعة
والزربية اللي عليها ماقلناش راها ولات قماش وحنا عليها مانتخلاش

هذه المقطوعة الرائعة المصدرة بتكليف الشباب بمهمة السؤال والسؤال مفتاح المعرفة، يدعو الشباب على لسان مدينتهم الغالية العودة إلى أحضانها كما عاد الشاعر ليشفي غليله، يدعوهم لمعرفة الحقائق التي أنستهم أيام العولمة والبعد.

يدعوهم الى التفتيش في التاريخ والجغرافيا

سول الحجر والشجر سول كتب الحضارة

مثل شاهد القرن لمالك ابن نبي، وقد أقام بأفلو ومدرسة الحاج عيسى شاهد على عراقة هذه المدينة ومدرسة حسيبة ابن بوعلي للإناث، كم مرت عليهما من أجيال وسال العتيق وهو اقدم مسجد في مدينة أفلو والطلبة تقرأ في الالواح، هذ المسجد قرأ فيه آباءنا رحمهم الله وحكوا لنا ظروفهم العبة عند الذهاب عراة حفاة مع قساوة البرد بكرة واصيلا.

وسأل أيها الشباب(شاهد كوني آخر) لمن لا يحسن القراءة هو يوم الأحد اللقاء الأسبوعي لكل العروش للبيع والشراء وتبادل السلع.

فكل شبر من هذه البلدة (آفلو) تحمل بصمة الأبطال، بالإضافة الى التراث المادي المتمثل في الزربية، وهي نسيج ذو شهرة عالمية، تحمل الزربية حكاية أمم وتاريخ شعب وعادات وتقاليد وأخلاق. وتاريخ لا مادي يتمثل في علاقات الأعراش وعقود الشراء والبيع وحدود الأراضي الفلاحية وتدبير أمور المعاش وتصريف الأموال.

[6] يوم السوق الأسبوعي، الأحد

4. خاتمة:

- نجد الشاعر في هذا النص قد بنى شخوصه على التشبيه الاستعاري، حيث قد شبه مدينة أفلو بعجوز تخلى عنها أبناؤها وأحفادها فراح يسائلها عن أبنائها الأبطال الذين ضحّوا بالنفس والنفيس. ويذكرها بالعهد الجميل: "كنتي زايخة بجمالك" متتبعًا أدقّ التفاصيل من خلال المقارنة بين ما كانت عليه البلاد من عزة وكرامة إذ قدّم أبناؤها من تضحيات لأجلها ولعلوّ شأنها، وقد صرّح بذلك على لسان حالها: "أنا أم لي ضحا فالنصر شريك" تقصد الشهيد، في حين أشار إلى الأدمغة المهاجرة من ابناء هذه البلدة في قوله: "نهجر ونخليك" وفي حوار مع الشاعر يقول هنالك رجال تلقوّا تعليمهم في مسقط رأسهم أفلو ثم هاجروا تتبعا للعلم والشهرة ولم يلتفتوا إلى هذه الأم الحنون التي أرضعتهم الثقة والأمانة، وبنت شخصيتهم على الصدق والمحبة، فنجحوا وانجزوا لكن بعيدّا عنها مما جعلها تذبل ويبهت لونها، وماهي إلّا دعوة صارخة للالتفات لهذه المدينة التي هي جزء من كيان الأمة.

- زادت المساءلة لهذا النص جمالا ورونقا، وجرسا موسيقيا حماسيا، يلهب نار الشوق ويبعث في الأنفس حرارة البحث، والتقصي عن الحقائق.

- كما أضافت القصة التي رواها الشاعر، تشخيص المدينة في صورة عجوز تجاوزها الزمان، نوعا من العاطفة، والحنين الذين نجح الشاعر في ايصالهما إلى القارئ، والقارئ المقصود الشباب المثقف على حد تعبير الشاعر أثناء اللقاء به.

أدت آلية السؤال دورا حجاجيا لما أجراها الشاعر على لسان العجوز (الزايخة أو الهيفاء) وهو باعتبار ما كانت عليه حالها ...

سال وسول –كان انت ماتعياش

فيه حرارة التحدي، والاعتزاز بما تملكه من مكتسبات يعني كل ماذكر عليه دليل، وحجة، واقناع بوجود وزيادة في التسليم، كمن ادعى من الشباب ان هذه المدينة، مهجورة، وليس فيها مرافق حضارية مثل بقية البلدان فقارعهم بالحجة، والعاطفة، والتحدي بالسؤال أن مدينتهم تدعوهم للعودة، والتعبير، خاصة المثقفين منهم. لأن المنهج الحجاجي في الخطاب الشعري – من حيث هو رسالة – فهو فعالية لغوية، انحرفت عن مواصفات العادة والمألوف، وتميزت بخاصية التحدي.

- وجاءت المساءلة الحجاجية في قالب تربوي توجيهي، لطالما رأينا الشاعر يقرأ هذه القصيدة في محافل الشباب في الجامعة، أو الثانويات ويحثهم على الاخلاق وحب الوطن ...

6. قائمة المراجع:

1- عبد الهادي بن ظافر الشهريّ، استراتيجيات الخطاب- مقاربة لغوية تداولية- كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط2، 2015، ج2

2- بومدين سلمان، قصيدة العالية

3- michel meyer de la problématologie philosophie, Science el langoge, Paris le livre de page, 1994

4- جابر عصفور : الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1974.

5- فاضل السامرائي: دراسة بيانية في الأسلوب القرآني، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، دار الفجر للنشر والتوزيع، العراق، بغداد، ط سنة 2008 .

6- Ch. Perleman, L'empire rhétorique : rhétorique et argumentation éd. Librairie philosophique, J.vrin, Paris, : 1977